العدد(1482) السنة السادسة -الاربعاء (15) نيسان 2009 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mamil: almada@almadapaper.com

بعد سنوات ست... الثقافة العراقية استنتاجات واشكالات

جدلية أدبـاء الـداخـل والخـــارج تـرمـي بـظـلالهـا عـلى المـشـهـد الثقافي

استطلاع أجراه :حسين العتبي

■ غـيـاب الـمـشـروع الـثـقـافـي الـواضـح الـمـعـالـم
■ فـوز الأدبـاء العراقيين بجوائز الإبـداع العربية والعالمية

التاسع من نيسان ٢٠٠٣ يوم عاصف بتاريخ العراق الحديث اذ شهد انهيار اعتى دكتاتورية،إذ سار بالبلاد إلى حافة الهاوية فقمع الحريات والأفكار والأدب والعلوم والتكنولوجيا وكل ما يعنى بالشأن الإنساني والأخلاقي والمعرفي، واحد من أهم هذه الجوانب هو الجانب الثقافي وما ألحقتها المنظومة الصدامية البعثية من ضرر كبير في هذا الجانب الحيوي من تهميش لدور المثقف وجعله تابعا للسلطة، وفي حالة عوز دائم.إضافة الى مسائل اخرى كثيرة. وبعد التغير حاولت الثقافة النهوض بواقعها الجديد لكن ثمة حواجز ظهرت رافقت مرحلة النهوض ومن اجل تسليط الضوء كانت لنا وقفة مع أدباء عراقيين وهم يشخصون بعض تلك الظواهر.

د. ماجد الحيدر... شاعر وقاص ومترجم أبدى رأيه قائلا:

ربما كانت السنوات الست التي مرت منذ التغيير الكبير الذي عصف بالعراق تعادل في شدة تأثيرها على المنطقة بأسرها التأثير الذي أحدثته الغزوة الفرنسية لمصر قبل ذلك بقرنين ونيف. وأحسب أن الأجيال اللاحقة ستهتم كثيراً بالدراسات المقارنة بين غزوة نابليون لمصر عام ١٧٩٨ وغزوة بوش للعراق عام ٢٠٠٣ من حيث آثارها السياسية والاقتصادية والثقافية سلبية كانت أم إيجابية! فيما يخص الثقافة العراقية يمكن للمرء أن يشخص في عجالة عددا من الظواهر التي تمخضت عن هذا الزلزال الكبير منها:

-انهيار المنظومة الثقافية-الاعلامية المملوكة للسلطة الفاشية مع كل ما رافقها من تسخير للثقافة في خدمة الاعلام وتمجيد الدكتاتورية وقيمها.

-واكب هذا الانهيار الغياب المزري دور وزارة الثقافة في رسم/ وتنفيذ نهضة ثقافية تعوض سنوات التهميش والتشويه والكبت التي عانتها (باستثناء فترة قصيرة عرفت بفترة مفيد الجزائري) أضف الى ذلك تراجع أهمية الثقافة والمثقفين لدى أغلب «النخب» السياسية الجديدة حتى صارا من الأوراق الثانوية في اللعبة السياسية والانتخابية من دون أن يحول ذلك بينها وبين السقوط في دوامة المحاصصات الطائفية البغيضة وانجرار بعض المحسوبين على الوسط الثقافي اليها.

-بروز جدلية مثقفي الخارج والداخل ومسألة التعامل مع «مثقفي» السلطة البائدة الذين عادت نسبة كبيرة منهم الى تصدر الواجهات الثقافية والإعلامية بعد إدخال بعض التغييرات الضرورية على خطاباتهم وقواميسهم!

-ظهور عدد كبير من المؤسسات الثقافية الحزبية والمستقلة والصحف والدوريات والتجمعات الثقافية مع أجواء الحرية غير المسبوقة التي شهدتها البلاد ودخول إقليم كردستان والمحافظات بقوة كمرجعيات ومراكز لاحتضان الفعاليات الثقافية جنبا الى جنب مع المركز-العاصمة. غير أن الملاحظ –مع الأسف– التردي الواضح في مستوى نسبة كبيرة من المنتج الثقافي مع الانحسار الكبير في عدد المتلقين (الجمهور الثقافي).

-الانفتاح الهائل على الفضاء الرقمي بعد زوال القيود الرقابية على التصفح والتدوين وما يصاحب ذلك من ايجابيات وسلبيات.

إن الكثير من الظواهر السلبية الموجودة حالياً هي امتداد للثقافة السائدة خلال الأربعين سنة الماضية منذ انقلاب ٨ شباط الأسود ١٩٦٣ وقد أسهمت حالة الإرهاب والعنف والاحتلال والفوضى والفساد والاحتقان الطائفي التي أعقبت التغيير بآثارها المادية والروحية المدمرة في تفاقم تلك الحالات.

غير ان أغلب هذه الظواهر مؤقتة وسوف تزول بالتدريج مع تحسن الوضع الأمني والاقتصادي وكلي أمل بأن الثقافة العراقية سوف تستعيد مكانتها وعافيتها ووجهها المشرق وتقاليدها الإنسانية والتقدمية في وقت قريب.

اما الشاعرة فليحة حسن فقد اشارت الى جملة من الامور قائلة:

المشهد الثقافي الراهن واحد من أهم المشاهد الثقافية التي تستحق الوقوف عندها ملياً وذلك لما تضم بين طياتها من أسماء كانت ولما تزل تلعب دورا مهما في المشهد الثقافي العربي والعالمي فالكثير من مبدعي العراق حازوا مراكز أولى في مسابقات عربية وعالمية ووضعت أسماؤهم في انطلوجيات عربية وعالمية.

ولا تكاد توجد مسابقة أدبية كبيرة عربية أو عالمية إلا ونجد أديباً عراقياً وقد فاز بها، وبفضل الترجمة تعدت شهرة بعضهم حدود الوطن العربي الى العالم الغربي هذه الشهرة وهذا الاتساع في الإبداع يقابله تهميش من قبل الحكومة التي لم نر منها بذل جهود موازية لما هو مبذول من قبل حكومات الوطن العربي والعالمي وعلى الرغم من إن ذاكرتنا التاريخية العربية تحتفظ بصور ناصعة ومواقف جليلة نتمنى لها العودة من جديد ومنها احتفاء القبيلة وإقامة الولائم حين ولادة شاعر حتى إن بعض القبائل تهنىء القبيلة التي ينبغ فيها شاعر وترسل الهدايا والعطايا تعظيما لتلك الولادة إذ إن الشاعر هو لسان حال قبيلته الصادح بهمها والموضح لألمها ولا أريد من قولي هذا أن تقيم لنا حكومتنا الموائد ولا تهدينا هدايا لا نستحقها فلسنا طبولا معدة سلفا للدق عليها من قبل الآخر/ الحاكم، بل نطلب منها أن تعتني بالأديب الذي كان ومازال يحلم بالأمان وتحقيق يوتوبياه المنشودة التي رسمها في العهد الماضي فقد كنا نحلم بحكومة تنصف المثقف بحكومة لا تهمش المثقف وتحاول أن تبرز دور المثقف العراقي بتسهيل مشاركته بالمهرجانات العالمية والعربية على حد سواء، حكومة تجمع شمل ما تفرق من شتات الأدباء فإلى متى يبقى المبدع العراقي يحمل كاهل منفاه على ظهره؟ والى متى يبقى الشاعر يعيش بلا شبر ارض ينتمي إليها وتنتمي إليه ؟؟ ولماذا تصلح الحكومات العراقية دوما للاحتفاء بالمبدع بعد رحيله بينما هي تتجاهله في حياته؟! فهل الموت وحده هوية صالحة لتوكيد الحضور الإبداعي العراقي؟! وبين آونة وأخرى نسمع بمرض مبدع أو تعرضه لحادث مؤسف وسرعان ما يمرُّ ذلك الخبر على أسماعنا مرور الكرام، وكأن هذا الأمر لا يخص إلا المبدع نفسه وأهله والمحير في الأمر إننا نسمع بان اغلب الدول العربية تضع جوائز باسم مبدعيها والعراق هو الوحيد الذي لم نسمع بجائزة دولية ثقافية وضعت باسم الجواهري أو السياب أو مظفر النواب أو غيرهم فهل أنهم لا يستحقون أن تكون جائزة بأسمائهم أم إن مغنية الحي لا تطرب؟؟ فيا أيتها الحكومة الفاضلة المتمثلة بالوزارة والمؤسسات الثقافية والاتحادات يكفينا أحلاماً وهل من يوم تتحقق به تلك الأحلام ؟؟ أقول ربما!، ولكن متى؟

القاص والكاتب سعد محمد رحيم أشار الى بعض إشكاليات الوضع الثقافي العراقي قائلا:

يمكن تأشير جملة من الإشكاليات التي ميزت واقع الثقافة العراقية خلال السنوات الست الماضية، منذ سقوط نظام صدام. وأظنها جميعاً بحاجة إلى دراسات منهجية تفصيلية ومعمقة، يمكن أن يقوم بها الباحثون والمثقفون ومؤسسات الدولة الثقافية للوصول إلى صورة واضحة عن وضعنا الثقافي الحالي وآفاق مستقبله. ومن هذه الإشكاليات.

أولاً: إشكالية مثقفي الداخل والخارج، وما ترتبت عليها من تخريجات أجدها ضارة أحياناً، ويمكن أن تترك شرخاً في نسيج ثقافتنا لمدة طويلة ما لم يُصر إلى رسم خريطة موحدة للثقافة العراقية المعاصرة ومنجزها في الداخل والخارج بمعايير علمية وموضوعية تجعلنا نفهم موقع ودور كل منتج فكري وإبداعي رأى النور في العقود الماضية، سواء في الداخل أو الخارج، وفي إطار تلك الخريطة.

ثانياً: غياب المشروع الثقافي المرتبط بقضية بناء الدولة العراقية على أسس عصرية، فالثقافة للأسف ليست، حتى هذه اللحظة، من أولويات الدولة على الرغم من خطورتها، وعلى الرغم من أن كثراً من مشكلاتنا السياسية والاجتماعية ذات طابع ثقافي.

ثالثاً: أخفق المثقفون، إلاّ باستثناءات قليلة، في تكوين مؤسسات ثقافية فاعلة تصلهم بالمجتمع، ولم يستفيدوا بشكل كبير من تقنيات الإعلام والاتصال والمعلوماتية الجديدة مثلما تقتضي العملية الثقافية في العالم الراهن. في مقابل بقاء البنية التحتية للثقافة (مطابع ودور نشر، مسارح، استوديوهات ودور عرض سينمائية، محترفات وقاعات عرض وتقديم لفنون الرسم والنحت والموسيقى، الخ) متخلفة أو محدودة لا تتلاءم مع تاريخنا وواقعنا الثقافي والإبداعي، فلا ثقافة وطنية كبيرة، في عصرنا هذا، من غير بنية تحتية متقدمة للثقافة.

رابعاً: لم تتح فرصة هدوء واستقرار كافية، للمبدعين والمثقفين العراقيين للملمة أفكارهم، وإعادة تقويم المنجز الثقافي العراقي في الداخل والخارج نتيجة المتغيرات والتحولات الدراماتيكية الكبيرة في الواقع العراقي سياسياً واجتماعياً. وبقيت قضية إبداع ما يمثل ويعبر عن روح تلك المتغيرات والتحولات مؤجلة في أغلب الأحيان. وأرى أن السنوات والعقود القادمة تنطوي على مفاجآت إبداعية ذات قيمة عالية، ولذا فإننا نأمل في أن تزدهر الثقافة العراقية وأن يكون مستقبلها بخير، إذا ما جرى وضع حلول ناجعة وفعالة لتلك الاشكالات وغيرها.

ملاحظة أخيرة، أجد من الوفاء للتاريخ تدوينها، وهي أن كثراً من المثقفين العراقيين من كتّاب وإعلاميين ومسرحيين وسينمائيين وتشكيليين وموسيقيين عمّقوا الخطاب الوطني الذي يرسّخ الهوية العراقية خلال السنوات الماضية، وبمبادرات فردية أو جماعية، في مقابل، أو بالضد من الأطروحات العرقية والمذهبية والطائفية والعشائرية لبعض الأحزاب والقوى السياسية والاجتماعية الباحثة عن مصالحها الضيقة.

اما القاص زيد الشهيد فقد كانت له قراءة اخرى استنتج منها بعض الظواهر التي رافقت المشهد العراقي بعد التغير قائلا:

الكثير من المثقفين نظر إلى عهد الدكتاتورية على أنها الصفحة السوداء والمعتمة التي تؤرخ للثقافة العراقية. من هنا كانوا يمنّون النفس بعهد يتم فيه تحرير الإنسان العراقي من الحيف الثقيل الذي وقع عليه فأنتج مقابر جماعية وسجونا لا حد لها. ويوم تحرر الإنسان العراقي في التاسع من نيسان ٢٠٠٣ واعتقدت الغالبية العظمى من الشعب والمثقفين على وجه الخصوص أن عهداً جديدا توارى، وأن نور الحرية سيعمي عيون خفافيش النظام الذين كانوا يعيشون في الظلام والدهاليز الجرمية التي توازي النازية وتتفوق عليها في فعلها، سرعان ما اهتز هذا الاعتقاد وبان أنّ أعداء العراق لا يرتضون له هناءة العيش ولا سعادة حرمَ منها لقرون، فتكالبوا من كل حدب وجهة. نهضوا من ثقوب الأرض، وخرجوا من شُقوق الجدران.أولئك الذي تعميهم شمس الحضارة ويعريهم نور الثورة المعلوماتية التي غدت حقيقة بارزة مَن يتخلف عنها يخسر مستقبله. وإن لم ينتبه لها هذا الجيل وينهل منها فإنه سيخسر خسارة لا تعوض. وسيغدو مثلما نحن اليوم نشتم أجدادنا الذين هربوا من عربة الحضارة في العقود الماضية ودسوا رؤوسهم في رمال الغباء والتخلف كالنعامة وتركونا فرائس لأصحاب الرؤى والأفكار الظلامية، أقول سنغدو مصدر شتائم لأجيالنا القادمة وأحفادنا..

المثقفون اليوم مدعوون إلى تمزيق شرنقة الصمت والنهوض من غياهب الصمت والخمول ليبنوا حركة ثقافية ناهضة دون الاتكال على الجهات الحكومية التي كلما تقاعسنا رمينا عليها أخطاءنا واتهمناها بتجاهلنا.المثقفون مدعوون إلى بناء ثقافة عراقية معاصرة سيما والأيام القادمة هوية نور وضاء لها لا يجب أن تغفلها وتستهين بها أو تتقاعس عنها.. أننا مقبلون على زمن علمي حضاري سنعتلي ظهر احد أفراسه الجامحة وننطلق ومن يتخلف تطمره رمال الظلام..

إنها دعوة لإخوتي وأخواتي عشاق ومنتجي الثقافة.. أرى اقيانوسات النور تدعونا وآفاق الحضارة النيرة تفرد أذرعها لاستقبالنا.. فهيّا.

القاص والشاعر الإسباني خوان خوسيه سواريث:

تأثير الأدب العربي عظيم في ثقافتنا

ترجمة : اسماعيل خليل مجيد

يتطرق سواريث إلى طبيعة المساحة المشتركة بين الأدب الإسباني والعربي فيقول إنني شخصياً أرى أن الشعر يحمل درجة من التشابه بين الأدبين، ولهذا السبب تمنيت أن أرى الشرق الذي كان ولايزال مهد الحضارة وبخاصة العراق.

وعن الصلات الحضارية بين إسبانيا والمشرق ومفاصلها قال «من المؤكد أن هناك تأثيراً عربياً في الأدب الإسباني، وأنني أجد أن تلاقح الحضارات هو الكفيل بأن يطور مبدأ التواصل الحضاري بينهما».

وفي موضوعه الترجمة المتبادلة بين الأدبين قال سواريث ليست هناك ترجمة فاعلة بينهما، إذ لا توجد كتب كثيرة مترجمة، بل تعد قليلة بسبب انعدام التواصل. وأكد أن انتشار الأدب العربي في إسبانيا محصور بالأدب المغاربي وبخاصة أعمال الروائي الطاهر بن جلون الذي يقرأ كثيراً في إسبانيا كونه الأكثر انتشاراً.

وأضاف «أعتقد أن هناك كتباً إسبانية جديدة سوف تترجم إلى الأدب العربي في الأسابيع القليلة المقبلة في مصر وهي خطوة جديدة ومهمة لتفعيل تلاقح الثقافتين».

وعن تأثير الشاعر الإسباني فردريك جارسيا لوركا صاحب «عرس الدم» في الأدب الإسباني، وهل تم تجاوز مرحلته الشعرية من قبل الشعراء الإسبان قال «أعتقد أن لوركا شاعر القرن العشرين، ولكن هناك شعراء إسبان الآن يقدمون إبداعاً يوازي أدبه في الابتكار ومنهم كاثيو مونتينو الذي يعد أحد أهم الرموز الجديدة».

وقال سواريث عن إبداعه الشخصي في مجالي الشعر والقصة «إنني أحس براحة كبيرة عندما أكتب قصة قصيرة جداً، وستصدر لي مجموعة قصصية جديدة تحت عنوان «تفاصيل» وفيها قصتان تناولت فيهما الصحراء وأبوظبي وتحولاتها من أجل أن أقدم هذا العالم الخلاق الذي يشهد تحولات حضارية مهمة إلى الثقافة الإسبانية» وأشار إلى أنه يمازج بين القصة وقصيدة النثر في إبداعه كونه أسلوباً جديداً في الكتابة.

ولد خوان خوسيه سواريث في لاكورونيا في إسبانيا ويعمل كاتب عدل في برشلونة، ولديه باع طويل كمحاضر في الفن والأدب. وحاز الجائزة الوطنية للرواية عن مؤلفه «الشخص المستبدل» والذي ألفه عندما كان في العشرين من عمره، وتم تصنيفه من قبل الاتحاد الأوروبي كروائي إسباني عن برامجه حكايات أوروبية.

وعين كمصنف آداب من قبل مجمع لاجواردیا، وترجم حوالى عشرة كتب الى لغات متعددة، وفي عام ٢٠٠٨ تمت ترجمة بعض من مؤلفاته الى اللغة الإنجليزية والصينية والعربية.

متابعة

رؤية جديدة عن اعياد الربيع في بلاد وادي الرافدين

محمود النمر

في اصبوحة الاربعاء وعلى قاعة الجواهري في اتحاد الادباء والكتاب العراقيين،القى الباحث في التاريخ الرافديني آشور ملحم خنانيشو محاضرة بعنوان (رؤية جديدة عن اعياد الربيع في بلاد وادي الرافدين) وقد حضر جمع غفير من الادباء والمثقفين والمهتمين بتاريخ وادي الرافدين،وقد قدم الشاعر ابراهيم الخياط نبذة عن حياة الباحث ومقدمة عن شهر نيسان قال فيها:

ان اعياد الربيع هي في الاصل اعياد زراعية وطقوسها موغلة في القدم،الا انها اصطبغت بالصفة الدينية ظنا من ذلك الانسان ان عملية الخصب ونبول الاشجار وجفاف الارض سببها قوى خارقة للطبيعة اطلق عليها تسميات مختلفة، وقد ارتبطت هذه الاحتفالات بطقوس وشعائر لها علاقة بالجنس ظنا منهم ان ممارسة الجنس من قبل الانسان تحفز وتنظم القوى الغيبية للاستجابة وتخصيب كل ما على الارض من حيوان ونبات، والغرض من ذلك هو الحفاظ على ديمومة الحياة،وقد مورس هذا الاحتفال من قبل حضارات عدة معظمها تلتقي في القيام بطقوس الزواج المقدس.

وكانت هناك شاشة في عرض وتعريف الطقوس التي كانت تستعمل اثناء الاحتفالات في مختلف الحضارات التي كان الاستاذ المحاضر يشرحها للحاضرين، وقدكانت هذه الصور تتكلم عن عادات وتقاليد وادي الرافدين، بما تحمله من معان تعريفية للخصب والنماء وطقوس تتويج الملوك وطقوس تقديم القرابين للآلهة والرموز الاخرى في حياة العالم السفلي والطقوس الدينية في جلب وتهيئة مواسم الامطار، والفوارق البسيطة في الحضارات المتعاقبة في بلاد وادي الرافدين الآخذة بالتطورات التدريجية من قبل كل حضارة، وقد شرح الاستاذ المحاضر بشكل مسهب وواضح عن الحركة والرموز الصورية في حياة كل حضارة وكيف تطورت تلك اللغات المستخدمة من قبل الحضارات وأشار: لو نظرنا الى خارطة العالم التي تقع ضمن حدود مدار السرطان وكيف كانت الاحتفالات الدينية للآلهة.. وممارسة الاستسقاء وكيف كانت النسوة يحللن شعورهن ويتحركنَ عكس عقرب الساعة، وكيف كان يعتقد الانسان القديم بالعقارب ظنا منه انها هي التي تجلب الامطار وان حركة شعر النساء الى الاتجاهات الاربعة ترمز الى جلب موسم الامطار.

ان احتواء هذه العناصر من خلال محاكاة الطبيعة وعن حيوية الحياة والطبيعة والدائرة التي اتخذنها فيما بعد هي حركة سحرية وهذا يعود الى الالف الثالث قبل الميلاد والدوران وشعر النسوة هو دوران الطبيعة وجلب الامطار.

واسترسل الباحث في التسلسل التاريخي المتعاقب على بلاد وادي الرافدين والطقوس المؤثرة في الحياة قائلا:وهناك طبل نحاسي لطرد الارواح الشريرة القادمة من العالم السفلي،وكيف تدور النساء حول الملوك وهنّ عرايا، واشار المتحدث الى ان اللون الاحمر او الارجواني هي طقوس سومرية وكان الملك يلبس الملابس التي فيها حواشٍ ترمز الى الحالات المنوية الجنسية.

وكانت هناك مداخلات من قبل الناقد فاضل ثامر والشاعر الفريد سمعان والمحامي طارق حرب والكاتب بولص شليطا والناقد علي حسن الفواز والباحث عقيل الناصري، وتعد هذه المحاضرة من المحاضرات المهمة في تاريخ بلاد وادي الرافدين التي يهتم اتحاد الادباء القاء الضوء على هذا التاريخ الزاخر والثري في حياة الانسانية التي كانت حضارات وادي الرافدين من الحضارات الاولى للإنسانية.

أسـرّة

شعر: اديب كمال الدين

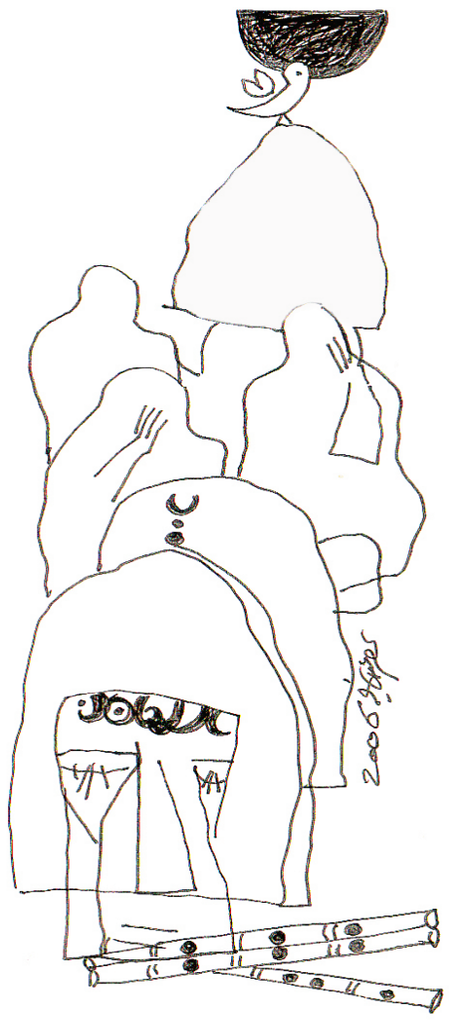

وأسمية: النقطة!

(١)

سرير الله
يسمّونه: العرش
وسرير العشّاق
يسمّونه: الحُبّ.
سرير الجسد
يسمّونه: الرغبة
سرير القِبْلة
يسمّونه: اللذة.
سرير الأمومة
يسمّونه: الشمس
ثم سرير الطفولة
يسمّونه: العيد أو ثياب العيد.

(٢)

سرير الطائر
يسمّونه: البيضة
سرير القلق
يسمّونه: الغربة
ثم سرير البحر
يسمّونه: المرأة او الغيمة

(٣)

نسيتُ أن أتحدث عن سيرِ الحرف
يسمّونه: الكلمة

(٤)

وماذا بعد؟
هناك سرير الذكرى
يسمّونه. خطأً. القصيدة.
وماذا عن سرير الحياة؟
إنه الموت.
يسمّونه: الموت.
وهو خطأ شائع
كما أخبرني الموتُ نفسه
حين جلسنا مرّةً على السرير!